هوامش

لا تغيب أطباق الحلويات التقليدية عن موائد الجزائريين خلال شهر رمضان، ومن بينها الزلابية وقلب اللوز. وتظل هذه الحلويات سيدة موائد وجلسات السهرات العائلية

تهافت على الزلابية في بوفاريك (Getty)

رمضان الجزائر

رزق وفير من الزلابية وقلب اللوز

الجزائر ـ **كمال بوحدة**

تعد زلابية بوفاريك أشهر حلويات شهر رمضان في الجزائر، وهي محور قصة تاريخية ترتبط تحديداً بمدينة بوفاريك التي تبعد 40 كيلومتراً عن العاصمة الجزائرية، وتتبع لولاية البليدة، وتجاور ثلاث ولايات أخرى، هي تيبازة والمدية وعين الدفلى، باعتبارها أقدم وأشهر حلوى زلابية ذاع صيتها منذ عقود في الجزائر، وأصبحت الوجهة الأولى للجزائريين من مختلف المحافظات. وتحتفظ عائلات في بوفاريك بأسرار صناعة الزلابية، وتتوارثها وتتفنن في تطوير أشكالها وألوانها جيلاً بعد جيل، وتشهد الشوارع الرئيسية للمدينة خلال شهر رمضان طوابير أمام المحلات للحصول على حلوى الزلابية.

ويقول علي مرسلي الذي يرأس جمعية ثقافية ويسكن في مدينة بوفاريك، لـ«العربي الجديد»: «زلابية بوفاريك واحدة من أشهر أنواع الزلابية في الجزائر، وظهرت منذ أكثر من 134 عاماً. وتفيد كتابات تراثية بأن تاريخها يعود إلى عام 1889، خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، وتوارثتها 3 عائلات هي أكسيل وشبوب ولوكيل التي سكنت في منطقتي بوفاريك والبليدة، واحتفظت بسرّ خلطتها حتى اليوم، رغم أن المكونات الرئيسية معروفة، وتتضمن الدقيق الناتج من طحين القمح اللين أو الصلب والزيت والماء والسكر، وتضاف إليها بعض العطور ذات النكهات وبعض الملونات التي تختلف بين منطقة وأخرى وطاهٍ وآخر، وأيضاً بحسب مدة ترك العجينة كي تتخمّر».

واللافت أنّ نسبة قليلة من الأسر الجزائرية تعدّ الزلابية في البيوت، إذ تشتريها غالبيتها من محلات خاصة بها تزدهر أعمالها خلال شهر رمضان تحديداً، في حين يرتبط الإقبال على شرائها في بقية الأشهر بالصدفة والمزاج الفردي».

وما إن يحلّ شهر رمضان حتى تنتشر محلات بيع الزلابية وقلب اللوز في معظم شوارع المدن والبلدات في الجزائر. وتغلق مطاعم ومحلات كثيرة للمأكولات السريعة خلال شهر رمضان، وتغيّر نشاطها إلى صناعة الحلويات التقليدية وبيعها. ويستعين بعض التجار بمهنيين متخصصين في صناعة حلويات الزلابية وقلب اللوز، ويبيعونها مباشرة للزبائن، في حين يشتري آخرون كميات كبيرة من هذه الحلويات من المحلات والورش المعروفة بصناعتها في بوفاريك وشرشال قرب العاصمة الجزائرية، وهما الأكثر شهرة بصناعتها في وسط الجزائر من أجل بيعها لزبائن. ويقول كريم تواتي، وهو صاحب مطعم مشهور في بلدة سيدي راشد الصغيرة التي تبعد 75 كيلومتراً عن غرب العاصمة الجزائرية، لـ«العربي الجديد»: «أحوّل منذ سنوات نشاطي التجاري خلال شهر رمضان لبيع حلويات الزلابية وقلب اللوز وأخرى، وكسبت زبائن كثيرين خلال هذه السنوات. وفي بعض الأحيان يحصل تزاحم وتدافع لشراء هذه الحلويات، خصوصاً خلال الفترة المسائية. ونحن نصنع الزلابية بطريقة محترفة عبر الاستعانة بمتخصصين، وقد زاد الطلب على هذه الحلوى خلال شهر رمضان بعدما أصبح أرباب العائلات يشترونها بكثرة لتزيين طاولة السهرة بعد انتهاء صلاة التراويح، أو لإكرام ضيوف يقصدون بيت العائلة للسمر، في عادة لا تزال راسخة في كثير من محافظات الجزائر».

وفي مدينة حجوط حيث عاش الكاتب الفرنسي ألبير كامي، يوجد شارع عتيق اسمه «زنقة العرب» يمتلئ بباعة شبان يعرضون مختلف الحلويات والمأكولات التي تغري الصائمين بتنوع أشكالها وألوانها، ويتفننون بإطلاق الصراخ لجلب الزبائن إلى شراء بضائعهم، فالجميع يريد أن يقنعوا الزبائن بأن حلويات الزلابية وقلب اللوز مصدرها من منطقتي بوفاريك وشرشال اللتين تضمان كبرى العائلات والمحلات العريقة التي تحتفظ بأسرار صناعتهما. وفي أحد جوانب الشارع يعرض خديم محمد سلعه في شهر رمضان من كلّ سنة، بعدما نجح في كسب ثقة كثير من الزبائن خلال السنوات الأخيرة، ويقول لـ«العربي الجديد»: «أنتقل مبكراً إلى بوفاريك خلال شهر رمضان، وأجلب أجود أنواع حلوى الزلابية وأبيعها بأسعار معقولة. أما حلوى قلب اللوز، فأجلبها من محلات متخصصة تملكها عائلات مثل مسعودي التي لها باع طويل في صناعتها، وأبيعها خالية من المواد الكيميائية لأنني أحاول تقديم حلويات بمكونات طبيعية تجنباً لأي أضرار صحية».

وفيما تعتبر حلوى قلب اللوز ثاني أكثر الحلويات التي يستهلكها الجزائريون خلال شهر رمضان، يوجد في حيّ المدنية بالعاصمة الجزائرية محل قديم يصنعها ويبيعها تجاوز عمره القرن وتملكه عائلة سرير، ويفد إليه مئات الأشخاص يومياً ويقفون في طوابير للحصول على هذه الحلوى، ما يسبب زحمة سير عند مدخل الحيّ. ويستغل بعض الشباب فرصة التهافت الكبير على محل عائلة سرير، فيشترون علب حلوى قلب اللوز في وقت مبكر ويعرضونها قبل وقت قليل من موعد الإفطار للبيع على طوابير سيارات تتجه الى المحل، بهامش ربح يحقق لهم مداخيل بسيطة، لكنه يعفي مشترين من هدر الوقت عبر انتظار دورهم في الطابور.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن حلويات شهر رمضان تجذب شباباً كثيرين يحققون مكاسب مالية يعتبرونها جيدة من بيعها، وفي مقدمها الزلابية. وبالنسبة إلى بعضهم، تغطي الأرباح التي يحققونها خلال شهر رمضان تكاليف دراستهم طوال عام كامل، وربما ملابسهم وملابس أشقائهم.

باختصار

زلابية بوفاريك أشهر حلويات شهر رمضان في الجزائر، ويعود تاريخها إلى عام 1889، وتوارثتها 3 عائلات

■■■

زاد الطلب على حلوى الزلابية خلال رمضان بعدما أصبح أرباب العائلات يشترونها بكثرة لتزيين طاولة السهرة بعد انتهاء صلاة التراويح

■■■

تغلق مطاعم ومحلات كثيرة للمأكولات السريعة خلال رمضان، وتغيّر نشاطها إلى صناعة الحلويات التقليدية

وأخيراً

شهر التجرّد أم الاستهلاك؟

سعدية مفرح

بدلاً من أن يكون رمضان المبارك الكريم شهر العودة إلى الذات أصبح بالنسبة لمسلمين كثيرين شهر الخروج من هذه الذات نحو دائرة تتوسّع كثيرا لتضمّ العالم كله في انشغالات كثيرة بالآخرين وشؤونهم حسداً وطمعاً وغيرةً ومقارنة. بدلاً من أن يكون شهر التواضع والصبر والقدرة على التحمّل والاكتفاء بأبسط ملامح العيش، أصبح شهر رمضان للأسف الشهر الاستهلاكي الأول في حياة العائلات المسلمة.

بدلاً من أن يكون شهر الوعي بقيمة المرء في كونه الكبير، وبقيمته في مجتمعه وفي أسرته ومع نفسه أيضاً، أصبح فرصة للتخلّي عن أي وعي قديم بتلك القيمة العالية فردياً وجمعياً أيضاً.

بدلاً من أن يكون شهر التخفّف والتجرّد من كلّ ما يثقل الجسد قبل أن يثقل الروح، أصبح لدى كثيرين الشهر الثقيل في الميزانية وفي التكاليف وفي التمظهرات الاجتماعية الجديدة وغير القابلة للتكرار ذات الطبيعة الاستهلاكية لدى الكبار والصغار.

بدلاً من أن يكون شهر العبادة الخاصة والتفكّر والتأمّل في تصاريف الحياة بروحانية تليق بمكانته الدينية ومعناه القرآني العظيم، أصبح شهر العبادة وفق جداول مرسومة سلفا للانتهاء منها كواجب وحسب، بلا إحساس أو شعور خاص.

أما تكاليف رمضان المادية فقد سلبته ما تبقّى له من معنىً في المفهوم العام للأسف وجعلته استحقاقاً ماديّاً مكلفاً في كل شيء تقريبا. بل وجعلته موعداً سنوياً للتجدّد المادي في ما نستخدمه من أثاث وأوان منزلية وملابس وأدوات زينة وغيرها مما لا علاقة له بالتكليف الديني، ولا حتى الموروث الاجتماعي المتعلق بهذا الشهر الفضيل. كثير من هذه الأسر أصبحت تعمل لشهر رمضان ألف حساب قبل قدومه تحسّباً لما يفرضه عليها الواقع الاجتماعي من مصاريف إضافية، وبدلاً من الاستعداد لمضاعفة العبادات والنوافل فيه، نجد أن هذه الأسرة تكلّف نفسها تكاليف لا تكاد تتحمّلها الميزانية الشهرية كباقي شهور العام. لا أتحدّث عن الطعام والشراب وحسب، رغم أن هذا البند تحديداً أصبح في رمضان يستهلك معظم ميزانية الأسرة في الشهر الكريم، مع أن قليلاً منه فقط هو ما تستهلكه الأسرة، وأقلّ منه هو ما يذهب لمساعدة الفقراء... أما معظمه فللأسف يذهب إلى القمامة التي تتضخّم في هذا الشهر تحديداً بشكل ملحوظ. ورغم أن هناك مجتمعات وجمعيات خيرية فطنت لهذا الأمر وأنشأت ما تسمّى بنوك الطعام وحفظ النعمة، إلا أنها تعدّ نقطةً في بحر، وكثير منها تفتقر للوسائل العملية السريعة للحاق بالطعام (المطهوّ) وجمعه والمحافظة عليه من التلف ثم توزيعه لمن يحتاجه من الفقراء وغيرهم. ثم إن أسراً كثيرة للأسف لا تحبّذ التعامل مع هذه الجمعيات، وتجد أن الأسهل لها وللعاملين لديها هو التخلّص مما يفيض عن حاجاتها اليومية من الطعام بسرعةٍ في القمامة. وهذه القمامة تذهب إلى العدم في أفضل الأحوال، إلى تراكم مسببات التلوث والأمراض وغيرها، فحتى اللحظة، لا توجد سوى مشروعات تجريبية لا تكاد تُذكر لإعادة تدوير كثير من محتويات القمامة في بلداننا كما يحدُث في البلاد الغربية. أما ما عدا الطعام من فوائض استهلاكية فكثيرٌ جدا. ويتفنّن السوق في صناعة المناسبات من داخل المناسبات في سبيل استدراج الفرد والأسرة إلى مزيدٍ من الصرف. فكل يوم تقريبا هناك تقليد رمضاني جديد لا علاقة له بمعنى رمضان في الوعي الديني، لكن السوق يتخذه حاضنة للصرف المادي وحسب. لا أريد أن أذكّر بظروف من لا يستطيع العيش بهذا الترف المظهري الذي وجدت الأسر المسلمة نفسها خاضعة له في رمضان، فهذا لا يخفى على أحد، وهو، رغم كل شيء، لا ينبغي أن يكون السبب في أهمية العودة إلى روحانية الشهر الكريم وتواضعنا نحن المسلمين فيه... ولكن نظرة إلى المآسي التي نتماسّ معها بالشعور بعيداً عن بلداننا ربما تعيد لنا ولو قليلاً من ضرورة التفكّر بمعنى رمضان في الوجدان.

> نظرة إلى المآسي التي نتماسّ معها بالشعور بعيداً عن بلداننا ربما تعيد لنا ضرورة التفكّر بمعنى رمضان في الوجدان

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**